

ملخص

شرح القواعد الأربع

للشيخ أبي يوسف مصطفى مبرم

-حفظه الله-

نبذة عن المتن

هذه الرسالة على صغر حجمها فإنها تعتبر كالشوكة في حلق كل من عارض دعوة الأنبياء و الرسل

وهي مفتاح لكشف الشبهات .فمن فهم هذه القواعد الأربع استطاع الحكم على الأقوال و الأعمال و سهُل عليه فهم كتاب كشف الشبهات الذي هو عصارة كتب و دعوة الإمام

-إذا عرفنا هذه القواعد الأربع عرفنا الشرك و أهله و عرفنا التوحيد و أهله

❖سبب تصنيف متن القواعد الأربع

من أسباب فهم الكتب معرفة مقاصد المصنِّفين، والمصنَّف رحمه الله تعالى قد أفصح عن مقصده في تصنيف هذه الرسالة المختصرة، التي جمعت معانٍ كثيرة وقواعد عظيمة ،في قوله: **وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه** ، لأنّه قال قبل ذلك : **فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل و صار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أنّ أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يُخلِّصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه "إن الله لا يغفر أن يُشرَك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.**

فقوله : **وذلك بمعرفة أربع قواعد**، هذه الجملة، جملة تعليلية عند البلاغيين بمعنى أنّه علَّل تصنيفه لهذه الرسالة ولهذه الأربع القواعد لتكون وسيلةً وسببا لمعرفة الشرك ومعرفة أهله.

❖قسم الله -تبارك و تعالى- النّاس إلى فريقين وجعلهم يسيرون على طريقين ويصلون إلى نهايتين:

- حسب حالهم في الدنيا من جهة الأسماء: إلى مؤمن و كافر ،كما قال تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ).

-وحسب حالهم في الآخرة من جهة الأحكام : إلى أهل الجنّة و أهل السعير، كما قال تعالى (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) .

❖أهمية دراسة و فهم هذه الرسالة

- إذا عرفت هذه القواعد وفهمتها سهل عليك بعد ذلك معرفة التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ومعرفة الشرك الذي حذَّر الله منه، وبيَّن خطره وضرره في الدنيا والآخرة.

- إذا عرفت الشرك وعرفت أهله ،وعرفت التوحيد ،استطعت أن تحكم على الأقوال وعلى الإعتقادات وعلى الأعمال بأنها شرك أو توحيد.

وهذا ما يبرز أهمية استيعاب هذه الرسالة أي:بأن نعرف القواعد التي يعرف بها التوحيد و القواعد التي يعرف بها الشرك.

إضافة مهمة

المسلم كما هو مطالب بمعرفة الحق ليسلكه هو مطالب بمعرفة الباطل ليجتنبه و من لم يعرف الباطل قد يقع فيه من حيث لا يشعر لقوله تعالى (وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) و بدليل قول حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه–:(كان الناس يسألون عن الخير وكنت أسأل عن الشر مخافة ان يدركني) و كذا قول عمر بن الخطاب رضي الله: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا ظهر في الإسلام من لا يعرف الجاهلية).فكيف يتقي من لا يعرف ما يتقي فالعلم بالمنكر يفيد العبد في اجتنابه قال ابن تيمية:(و لهذا كان الصحابة أعظم إيمانا و جهادا ممن بعدهم لكمال معرفتهم للخير و الشرّ و كمال محبتهم للخير و بغضهم للشرّ ...)

❖أهمية معرفة الشرك

قديما قيل : والضد يُظهِر حُسنَه الضدّ *** وبضدها تتميز الأشياء

فمعرفة الشّرك أمر مهم وهو ألزم علينا من معرفة أحكام الصلاة والزكاة وسائر العبادات،وبمعرفة الشركّ نجتنبه ،ونعرف ضدّه أي التوحيد. وقد جاء في الصحيح في حديث حذيفة بن اليمان أنّ حذيفة رضي الله عنه كان يقول (كان النّاس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني) .

❖سبب البدء بالبسملة:

- اقتداءا بكتاب الله –تبارك و تعالى– فالمصاحف مجمعة على البدء بالبسملة سواءاً قلنا بأنها آية من الفاتحة أم ليست آية هي مكتوبة في المصاحف.
- لأنّها سنّة الأنبياء و المرسلين –عليهم الصلاة و السلام– فإنّ سليمان لما كتب لملكة سبأ و قرأت الكتب (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ)

- عملا بسنّة النبي –صلّى الله عليه وسلّم– كما ثبت عنه في جملة من الأحاديث الكثيرة أنّه كان يبتدئ كتاباته و مراسلاته بالبسملة كما في الصحيحين في حديث أبي سفيان في كتابه إلى هرقل .

❖شرح البسملة:

الباء :هنا على الصحيح الذي عليه الجمهور أنها حرف جر أصلي ليست زائدة تطلب متعلق و هذا المتعلق محذوف عند البصريين و عند الكوفيين و قدره أكثرهم و هم الكوفيون بفعل مناسب مختص متأخر بسم الله أقرأ أو بسم الله أكتب.

و الباء في البسملة تفيد الاستعانة. يعني أنّ من دلالتها أنها تدّل على مصاحبة الاستعانة

أي: أبدأ حال كوني مستعينا بالله فهي للاستعانة.

و قيل بأنّها للمصاحبة و قيل غير ذلك.

إسم : مفرد أضيف إلى الله و المفرد إذا أضيف عند البيانيين يفيد العموم بمعنى أنّك تستحضر أنّك إذا قلت بسم الله فإنك تسمي بكل إسم لله .


والبسملة كما قال المصنِّف في بعض كتبه فيها استعانة وبركة بمعنى أن الْمُبَسمِل مستعين بالله تعالى وطالب للبركة منه.

❖ **سبب الدعاء باسم الله "الكريم" في قوله: أسأل اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيم**

١- من القواعد المتقرّرة في باب أسماء الله تعالى وصفاته أن يُدعى اللهُ جلّ وعلا في كلّ موطن بما يناسبه من أسمائه وصفاته، ذكر المصنّف رحمه الله تعالى هنا الدعاء باسمه الكريم.

٢- لأنّ من كرمه وسَعَة فضله أن يتفضّل على عبده بأن يمُنَّ عليه بالبركة والوَلاية ودوام النّعم وزوال الكروب فإن هذا كرم من الرّبّ تبارك وتعالى.

❖ **معنى قوله : أن يتولاّك في الدّنيا والآخرة**

أن يتولاّك بأن يكون وليّاً لك، يتولّى أمورَك وشؤونك في الدّنيا والآخرة ، بأن يتكفّل بحفظِك ورعايتِك في هذه الحياة الدّنيا، لأنّ من كان الله جلّ وعلا مولاه فقد كفاه، وأن تصحَبَك هذه الوَلاية إلى الآخرة .

لأنّ من حافظ على حقوق الله في الدّنيا ووالى اللهَ تبارك وتعالى في الدّنيا كان من آثار ذلك وثمارِه أن تصْحَبَه تلك الولاية في آخرته ، فقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا) [المائدة:٥٥] وقال في حق نبيّه عليه الصلاة والسلام: (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) [التحريم:٤]

❖تنال ولايةَ الله تبارك وتعالى بالتقرّب إليه والعمل بمراضيه .كما دلّ على هذا قوله جلّ وعلا في الحديث القدسي الذي خرّجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: [ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتى أُحبّه] ، لأنّه قال في أوّله: [من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب].

❖المقدَّمون في الوَلاية هم الأنبياء والرّسل والصّالحون من بعدهم، وقد قال الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي لما رواه عنهما الخطيب (إذا لم يكن العلماءُ هم أولياءُ الله فليس لله وليّ).

❖ من آثار وَلايَة الله للعبد:

- أن يُوَفّقك للخير ، و يُيسّره لك.
- أن يُبعِد عنك الشّقاء.
- أن يجعلك سعيداً في الدّنيا والآخرة.
- أن يجعلك سالكاً للطريق المستقيم. فتلك هي حقيقة وَلاية الله جلّ جلاله

❖معنى قوله : **وأن يجعلك مباركاً أين ما كنت**

أي ممّن تناله البركةُ وتُنال البركةُ من جهته بمعنى أنّه يكون مباركاً بالدلالة على الخير والعلم ونشره،

أنواع البركة:

- بركة مشروعة: بركات أولياء الله الصّالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم إلى طاعة الله وفي دعائهم للخلق وبما يُنزلُ اللهُ من الرّحمة وما يدفع من العذاب بسببهم حقٌّ موجود

-بركة ممنوعة: مثلُ أن يكون رجل مقبور بمكان فيظنّ أن الله يتولاّه لأجله وإن لم يقم بطاعة الله ورسوله فهذا جهل وشرك بالله تعالى.

قول القائل : ببركة الشيخ قد يعني:

كما قررّ شيخ الإسلام:

- قد يعني بها دعاءه وأسرع الدعاء إجابةً دعوة غائبٍ لغائب
- وقد يعني بها بركة ما أمره به وعلّمه من الخير
- وقد يعني بها بركة اتّباعه له على الحق ومحبّته له في الله وطاعته له في طاعة الله
- وقد يعني بها بركة معاونته له على الحقّ وموالاته له في الدّين

ونحو ذلك وهذه كلّها معان صحيحة

- وقد يعني بها دعاء الميّت والغائب إذ استغلال الشيخ من ذلك التأثير أو فعله لما هو عاجز عنه غير قادر عليه أو غير قاصد له، ومتابعته أو مطاوعته على ذلك من البدع والمنكرات...

تنبيه مهم

فهم هذه المسألة مهمّ جدّاً لأنّ بعض النّاس ربّما يظنّ أنّ البركة الواقعة بالعالِم أو بالصالحين بركة من جهة ذواتهم، هذا خلل في التوحيد وهو من الفتن العظيمة التي تعلّقت بها قلوب كثيرين من النّاس.

❖من نفائس الشاطبي التي انفرد بها أنّه حكى إجماع الصّحابة على أنّهم كانوا يتبرّكون بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبآثاره ثمّ عكس الإجماع بأنّهم لم يكونوا يفعلون هذا مع غيره عليه الصّلاة والسّلام.

❖دلّ إجماعُهم على هذا الفعل وعلى هذا التَّرك على أنّه لا يجوز أن تُطلب البركة من الذّوات سوى من ذات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

❖ البركة من الله كما قال نبيُّنا عليه الصّلاة والسّلام، وقد قال الرّبّ جلّ وعلا في كتابه الكريم عن نبيّه عيسى عليه الصلاة والسّلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم:٣١] ، يعني كما قال أئمّة التفسير: (اجعلني معلّما للخير وداعية إلى الخير).

❖ معنى البركة :

هي لزوم الخير وثبوته وزيادته ونماؤه.

❖عنوان السعادة:

- العنوان هو ما يفصح ويبيّن عن مضمون الشيء فحقيقتك أنك سعيد ، إذا أعطيت شكرت ، وإذا أبتليت صبرت ، وإذا أذنبت إستغفرت فإذا إجتمعت فيك تلك الخصال فقد نلت السعادة .

- العبد يتقلّب بين سرّاءَ تُسعده فيشكر اللهَ عليها وبين ضرّاءَ تُتعِسه فيصبر عليها، دلّ على هذا ما جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي يحيى صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه أنّ نبيَّنا عليه الصلاة والسّلام قال: [عجباً لأمر المؤمنِ إنّ أمرَه كلّه له خير إن أصابته سرّاءُ شَكَرَ فكان خيراً له وإن أصابته ضرّاءُ صَبَرَ فكان خيراً له وليس ذلك إلاّ للمؤمن] .

- قوله **وأن يجعلك ممن إذا أُعطي** : لم يُسمَّ الفاعلُ لأنّه معلومٌ فإنّ العطاء إنّما يكون من جهة الرّبّ، فهو الذي يُعطي عبادَه.

أركان الشكر ثلاثة:

١- إعتراف القلب

٢- وتحديث اللسان

٣- وعمل الجوارح والأركان بصرفها في طاعة الله تبارك وتعالى .

الصبر حبس القلب واللسان والجوارح عن التجزع والتسخط عند الصدمة

والصبر ثلاثة أنواع:

١ – صبر على الأقدار المؤلمة .

٢- وصبر على طاعة الله بفعلها .

٣- وصبر عن معصية الله بإجتنابها .

لما كان العبد والمؤمن ليس من شرط ولايته لله ولا تقواه لله أن يكون معصوماً من الذنب ، كان محتاجاً إلى الإستغفار ،كما قال جل وعلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ

لَا يُقْصِرُونَ) ، وكذلك في قوله تعالى (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ)

❖توطئة

☒الرشد :هو السداد وهو ضدّ الغيّ.

☒الطاعة : فعل الأوامر وإجتناب

☒الحنيف: هو المقبل على التوحيد المائل عن الإشرك.

وهذا قول ابن القيم وقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في طائفة من كتبه وهو المعتمد فيما يقرره شيخنا العلامة الفوزان رحمه الله تعالى في دروسه وشروحه.

☒قوله مخلصاً له الدّين :هنا حال ، بمعنى أن تعبد الله حال كونك مخلصاً له لأنّ الله لا يقبل العبادة إلا إذا كانت خالصةً له لم يخالطها شرك أكبر ولا شرك أصغر ، وهذه هي الحنيفية كما فسرها المصنف .

☒ ذكر المؤلف أنّ الشرك يفسد العبادة كما يفسد الحدث الطهارة لأمرين :

-أنّ الذين خالفوه في مسائل التوحيد قد أُغرقوا و أَغرقوا أنفسهم بالتعرف على الأحكام الفرعية العملية بما لم يعطوا عشره لمعرفة التوحيد الذي بعث به الرسل فضرب لهم بهذا مثلا.

-لتقريب الفهم للعامة لأنّ كلّ عاميّ يعلم أنّ الحدث يفسد الطهارة ولا تصحّ به فكأنّه قال لهم وكذلك الشرك يفسد دينكم وعبادتكم لربكم كما يفسد الحدث طهارتكم .

❖هل القواعد محصورة بأربعة فقط؟أي هل للعدد هنا مفهوم؟

العدد لا مفهوم له وإنما أراد المصنف رحمه الله قواعد مهمة يحتاج إليها المسلم في معرفة الشرك ومعرفة طريق أهله ومعرفة التوحيد ومعرفة طريق أهله ومصير كل منهما .

❖هل هذه فقط عنوان السعادة أم على سبيل الإجمال ؟

الجواب: كما ذكرت على سبيل الإجمال وكلها من مستلزمات التوحيد ومقتضياته والسعادة أو أسباب السعادة كثيرة جداً لا يحصيها إلا الله ، كل طاعة تفعلها هي من أسباب السعادة لكن هذه

الأمور يرجع إليها كثير من أفعال العباد الظاهرة والباطنة ، ولأنها أيضاً فيها دلالة على معرفة العبد بحقوق ربه تبارك وتعالى .

❖الفرق بين الشكر والحمد

الشكر أعم آلة وأخص متعلق ، والحمد أعم متعلق وأخص آلة ، فالشكر على النعماء وهذا من جهة إختصاصه بالمتعلق وأعم من جهة الآلة التي يشكر بها وهي القلب واللسان والجوارح والحمد متعلقه أو آلته اللسان ومتعلقه أعم فهو على كل على النعماء وعلى السراء وعلى الضراء فالربّ تبارك وتعالى محمود عليها هذا حاصل ما ذكره أبن القيم رحمه الله .